على هامش معالم التقريب *

الطاقة الروحية فى القرآن

فى موسوعية وعمق، يتنقل الأستاذ الجليل محمد عبد الله محمد فى كل الدروب باحثا عما يدعم دعوة التقريب، فنراه يتوقف عند اللغة العربية، فينوه إلى أن العارف بها معرفة تسمح بتغلغل معانيها فى أعماقه، لا بد يدرك بغير صعوبة أن ألفاظ وتراكيب القرآن المجيد مختارة اختيارا غير بشرى .. ملحوظا فيه حمل أكبر شحنة من الطاقة الروحية يمكن أن تحملها الألفاظ والتراكيب . ففصاحة القرآن ليست فقط فصاحة فنية أو بلاغية، وإنما هى أيضا فصاحة روحية غير قابلة لأى تقليد .. مبناها اهتداء لا يخطئ إلى أعماق السامع أو القارئ ..

وشحنة آيات القرآن يحس بها القارئ أو السامع مع إحساسه بامتلائها بالحرارة والوزن والصدق .. وتصل إليه دفعة واحدة من عبارة الآية نفسها .. دون أن يحتاج إلى تحليل دقيق .. فشحنتها تساب إليه مباشرة بلا صعوبة ولا عائق .. والله عز وجل لا يدين أو يهدى عباده بالعويص أو الصعب .. وهو سبحانه القائل : " هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ " (الحج ٧٨) .. فالدين يسر لا عسر فيه، ومسائل الغيب لا تدخل من باب العويص أو المشكل .. فليس يُنتظر من أحد فى هذه الدنيا أن يفهمها أيا كان ذكاؤه .. إنما المطلوب منا التسليم بها بإخلاص وترك علمها لعلام الغيوب ..

---

* المال ٢٠١١/٣/٢٤

والدين ليس سباقًا فى الذكاء وإنما هو سباق فى الإخلاص والأمانة وحب الناس والاستقامة وفى الولاء بذلك كله لله عز وجل .. والدين يعادى الذكاء ولا يواليه وإنما يعرف خطره كما يعرف خطر المال على نفوس الناس .. فهو كالمال يميل إلى التسلط والسيادة وإلى إبطال المقدسات وتجريدها وقلبها إلى دعاوى بشرية سهلة الاستخدام والاستغلال .. بل يكاد ذكاء الإنسان لا يحب أن يسمع صوتًا لأحد فى الكون إلا صوت نفسه !

ومع أن قدرة الذكاء على التمثل والتصور واسعة جدا، إلاّ أنها كقدرة السمع والرؤية - محدودة بحدود قصوى لا تستطيع أن تجاوزها .. حتى مع معونة المراصد والآلات والأجهزة .. بينما قدرة الخالق تبارك وتعالى وغناه - يتجاوزان كل الحدود بما لا نهاية له .. ويتجاوزانها إلى ما لا يمكن قط للذكاء البشرى أن يحيط به أو يدركه !

ويبدو أن الطاقة الروحية الأصلية - وهى المعين للإطلال على هذه الغيوب - كانت عالية جدا عند المسلمين الأول، وأن تنشيط القرآن لها كان جارفا اكتسح ما كان عندهم من العادات والمعتقدات الشريرة الوثنية والمشركة .. ومع أننا وُلدنا فى الإسلام وشربنا من نبعه من طفولتنا، إلا أن طاقتنا الروحية الأصلية منخفضة بكثير عما كانت عليه هذه الطاقة لدى المسلمين الأول، وضعف بانخفاضها بل وخمولها - استعدادنا لسريان هذه الطاقة من القرآن إلينا وقل - تبعا لذلك - استفادتنا من الشحنة القوية التى تحملها آياته، ومن ثم لم يعد للقرآن لدينا ما كان له على الأوائل من تأثير فى السلوك مع الله والناس .

فالقرآن لا يعمل وحده بمجرد قراءته أو إذاعة تلاوته، وإنما تلتقى شحنته الهائلة مع ما لدى قارئه أو سامعه من طاقة قابلة

للتنشيط والتقوية .. فتنشيط هذه الطاقة الروحية لدى سماع أو تلاوة القرآن على قدر استعداد السامع .. فتحرك أعماقه كلها تحريكا عميقا فى اتجاه الله .. وينشأ بهذه الحركة موحدة الاتجاه موقف موحد متميز، وتذوب كل الاعتبارات الفردية فى التيار الروحى الذى يسرى من القرآن إلى أعماق السامعين أو القارئين له .

ويلاحظ محمد عبد الله محمد، كما لاحظ الشيخ أمين الخولى، أن الإغراق فى التحليل الفكرى قد يقيم حول القرآن ركاما فكريا تتعثر فيه الأرواح، ويعوق وصول شحنة القرآن الهائلة إلى قارئيه .. وقد دخل تحليل الفكر من بابين مهمين فتحا له قلوب المسلمين وعقولهم، هما باب تنزيه الله عز وجل، وباب بيان إعجاز القرآن، ومن بيان إعجاز القرآن دخل الفن الأدبى واللغوى يعين للناس سلطان الفكر وحججه - ما هو الجيد فى مائدة الكتاب المجيد ولماذا هو جيد . وأحيانا ما يتم ذلك على حساب الشحنة الروحية التى قل الالتفات إليها .

وأكثر ما ضاق به أصحاب التحليل الفكرى تلك الآيات المفعمة بالحياة والروح من مثل قوله تعالى : " قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى " وقوله : " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ " وقوله : " إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " وقوله : " تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ " وقوله " وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ " وقوله : " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا " ... وغيرها من الآيات التى أخذ محمد عبد الله محمد يستعرضها ليلاحظ كيف ضاق ذرع التحليل بأن تسند هذه الآيات إلى الرب (مع) و (فوق) و (اليد) و (اليدين) واليمين والقبضة والعين والأعين والسمع والرؤية والجوار والغضب والرضا والحب والود وما إلى ذلك .. وهى ألفاظ لا يلتفت المسلم العادى إلا لشدة حرارتها وشحنتها الروحية، ولا يحس بأنها غريبة

على الكتاب المحيد بل إنها أوفر طاقة وحياة وأمس رحما بالدين، وأدوات توصيل وتنشيط للطاقة الروحية التى إليها وعليها معقد الرجاء فى التقريب بين المسلمين .